مجلة جامعة الملك سعود م١، الآداب (١، ٢)، ص ص ٢٣ ـ ٥٤ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)

مسألة الاختيار بين الضمة والكسرة في مضارع (فعَـل)

حمـزة بن قبـلان المزينـــي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيـة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخـــص البحـــث. تعدّ مسألة الأختيار بين الضمة والكسرة في مضارع الفعل المجرد (فعَل) من أكثر القضايا تعقيدًا. وذلك لأن ما ورد إلينا من مضارعات هذه الصيغة إما أن يكون بضمّ العين أو بكسرها أو بفتحها. وعلى خلاف ما تكون فيه حركة العين الفتحة، وهو ما يأتي بسبب الصوت الحلقي الساكن إذا كان عينًا أو لامًا للفعل، فإن الكسرة والضمة لا يحكم الاختيار بينهما في الظاهر أي ضابط صوتي. وقد اختلف العلماء الأقدمون والمحدثون في تفسير هذه الظاهرة. وتستعرض هذه المقالة المحاولات السابقة لتفسيرها، وتخلص إلى أنه لا يمكن الخروج بنتيجة أبدًا إذا اقتصر البحث على دراسة النظام الداخلي للغة العربية الفصحى. وبدلاً عن ذلك تدرس هذه المقالة ظاهرة تغير الضمة إلى كسرة في إحدى اللهجات العربية المعاصرة، وترى أن الضمة في كثير من الأحيان تُسمع إما كسرة أو حركة عالية متوسطة. غير أن هناك أدلة واضحة على أن في هذه اللهجة ضمة وكسرة على المستوى الأعمق من نظامها الصوتي؛ ويتبين ذلك من دراسة بعض القوانين الصوتية مثل تفخيم الراء واللام وتغوير الكاف والكَاف. ومن ثمّ خلصت الدراسة إلى أنه يمكن أن نقترح أن حركة عين مضارع (فعَل) ليست إلا الضمة أصلاً؛ وأن تغيرها إلى كسرة أو فتحة محكوم بعوامل صوتية.

ظفر الفعل الثلاثي المجرد باهتمام كبير من العلماء العرب القدماء والباحثين المحدثين على السواء. ويعود سبب هذا الاهتمام إلى ما تتميز به هذه الصيغة الفعلية من التشعب والتعقيد في جوانب كثيرة منها. ومن المسائل التي تثير الاهتمام في هذه الصيغة يمكن أن يشار إلى مايلي:

١ ـ كثرة الأبواب الصرفية لهذه الصيغة، فهناك ستة أبواب فيها، بينما الأفعال المزيدة ينتظمها بابان لا أكثر.

٢ ـ عدم الاطراد في دلالة الصيغة على المعنى، فصحيح أن صيغة (فعُل: يفعُل) توحي باختصاصها بالسجايا والصفات الثابتة إلا أن الصيغ الأخرى ليس فيها هذا التحديد.

٣ ـ أن مضارع (فعَل) قد يأتي على صيغة (يفعُل ويفعِل ويفعَل). وعلى رغم ارتباط صيغة (يفعَل) هنا، بما كانت عينه أو لامه صوتًا حلقيًّا إلا أننا نجد أفعالاً كثيرة لا يتم فيها التغيير.

٤ ـ هل المضارع مشتق من الماضي أو العكس؟

٥ ـ ما الحركة التي تنقلب إلى فتحة في مضارع (فعَل)؟ أهي الكسرة أم الضمة أم كلاهما؟

٦ ـ هل الأفعال المضعفة مشابهة للأفعال غير المضعفة في أنها، صرفيًّا، على وزن (فعُل: يفعُل، يفعِل، يفعَل)؟

٧ ـ وكذلك الأمر في الأفعال المعتلة (الأجوف والناقص)، أهي ثلاثية في المستوى الصرفي المجرد أم هي ثنائية؟

وكل واحدة من هذه المسائل سبق أن ناقشها الباحثون، غير أنها مازالت في حاجة إلى البحث والتمحيص.

وسوف نركز في هذا البحث على مسألة الاختيار بين الضمة والكسرة في مضارع (فعَل) من بين هذه المسائل. وسيكون نقاشنا لها مرتبًا على النحو التالي: استعراض آراء العلماء القدماء في هذه المسألة والنظر في آراء بعض الباحثين المحدثين حولها. وبما أنه من الصعب الخروج بنتيجة إذا اقتصرنا في دراسة هذه المسألة على اللغة العربية الفصحى، فإننا سندرسها في إحدى اللهجات العربية المعاصرة في الجزيرة العربية، وسنجد أن بإمكاننا أن نقترح نظرية ملخصها أن حركة عين مضارع (فعَل) هي الضمة ليس غير، وإنما الكسرة

والفتحة في مضارع هذه الصيغة لا تعدوان أن تكونا بتأثير من الأصوات الساكنة المجاورة. وفي نهاية المقالة سنناقش مسألة عدم استقرار الضمة في لغات عديدة ومن ضمنها اللغات السامية أخوات اللغة العربية.

آراء العلمـــاء العـــرب القدمـــاء

اكتفى بعض العلماء القدماء بإيراد هذه الظاهرة دون محاولة تعليل الاختيار فيها؛ لكن بعضًا منهم أوردها وحاول تعليلها. ومن الذين أوردوها وحاولوا تعليلها ابن جنّي في كتـابيه *الخصائـص* و *المنصـــف*. ويتلخص تعليله في الخصائص بمايلي: أن الأقيس في مضارع (فعَل) أن يكون على صيغة (يفعِل) وذلك لأمرين:

أ ـ أن (يفعُل) مختص، أصلاً، بما ماضيه (فعُل).

ب ـ ولأن ما ماضيه (فعِل) يكون مضارعه (يفعَل)، فإن الأقيس أن ما ماضيه (فعَل) يكون مضارعه (يفعِل). والتعليل هذا منطقي قصده الاطراد ليس غير. لكن ابن جنّي يزيد على هذا التعليل تعليلاً آخـر عنـدمـا وجد أن هناك أفعالاً مضارعة مضمومة العين على الرغم من أن صيغة الماضي منها مفتوحة العين. والتعليل المنطقي الآخر الذي زاده هو أن المقصود من الاختلاف بين حركة العين في صيغة الماضي وصيغة المضارع ليس إلا المخالفة والمغايرة. وبما أن الفتحـة تتميز بأنها صوت مستفـل بينما الضمة والكسرة، كلاهما، صوتان مستعليان فإن المغايرة تحصل بمجرد مقابلة الحركة المستفلة (الفتحة) بالحركة المستعلية (الضمـة أو الكسرة). ولذلك فالمهم هو المغايرة لذاتها، أما نوع الحركة فلا أهمية له.[1]

وبـالإضـافة إلى هذه التعليلات المنطقية يورد ابن جنّي تعليلاً آخر في *الخصائص* لتفسير هذه الظاهرة. فيرى أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين حركة عين المضارع ومعنى الفعل. فالضمة — كما يرى — جاءت، أساسًا، لغير المتعدي، ولذلك اختصت صيغة (يفعُل) بالأفعال التي تدل على الطباع الثابتة. ومن ذلك أيضا أن بعض الأفعال اللازمة جاءت على

(١) أبـو الفتـح عثـمان بن جني، *الخصائص*، تحقيق محمد على النجار، ط٢ (بيروت: دار الهدى، د.ت.)، مج١، ص٣٧٩.

هذه الصيغة، مثل (يقعُد). فالأقيس — على حدّ قوله — أن تأتي الأفعال اللازمة على صيغة (يفعُل). أما الأفعال غير اللازمة فالأقيس فيها أن يأتي المضارع منها على صيغة (يفعِل).[٢] وتجب الإشارة إلى أن أفعالاً لازمة كثيرة جاءت بكسر عين مضارعاتها، بينما جاءت أفعال أخرى غير لازمة بضم العين فيها. غير أن ابن جنّي لم يكن غافلاً عن هذا الأمر، فلذلك يؤكد أن مايراه، هنا، ليس إلا اتجاهًا عامًّا وأن الاستثناءات كثيرة.

ويورد ابن جنّي الآراء السابقة في كتابه *المنصف* أيضًا،[٣] ويزيد عليها آراء أخرى. ومن هذه الآراء أن ضم عين المضارع مختص بما ماضيه على صيغة (فعُل) لقلّته.[٤] أما كسر عين المضارعة فهو الذي لم يرتبط بصيغة أخرى، ولذا فإن الأكثر احتمالاً أن الكسرة هي الحركة الأساسية في مضارع (فعَل). ويدلل على هذا الرأي بظاهرة صوتية أخرى، وهي أن الكسرة والفتحة تنوب إحداها عن الأخرى في بعض الحالات: فالفتحة تنوب عن الكسرة في جرّ الاسم غير المنصرف، بينما تنوب الكسرة عن الفتحة في نصب جمع المؤنث السالم.[٥] فمادامت الحركتان تنوب إحداهما عن الأخرى فإن الأرجح أنهما هما الحركتان الأساسيتان الداخلتان في المغايرة بين حركة الماضي والمضارع، أي أن ما عينه مفتوحة في الماضي تكون عينه مكسورة في المضارع والعكس صحيح أيضا.

وكما هو واضح فإن هذه الاستدلالات أكثرها منطقي وكل دليل يواجه بكثير من الاستثناءات التي تحجب إمكانه.

ويعالج الاستراباذي هذه المسألة فيقارن بين اطراد الكسرة في مضارع الأفعال المزيدة، والضمة في صيغة (فعُل: يفعُل) وبين ورود الحركات الثلاث في مضارع (فعَل). وينتهي إلى القول بأنه ليس هناك قاعدة للاختيار بين الكسرة والضمة. ولعدم وجود قاعدة تحدد حركة العين في مضارع (فعَل)، جاءت بعض الأفعال المضارعة لهذه الصيغة بفتح

---

(٢) ابن جني، *الخصائص*، مج١، ص٣٧٩.

(٣) أبو الفتوح عثمان بن جني، *المنصف: شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للامام أبي عثمان المازني النحوي البصري*، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، ط١ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ)، مج١، ص١٨٦.

(٤) ابن جني، *المنصف*، مج١، ص١٨٩.

(٥) ابن جني، *المنصف*، مج١، ص١٨٧.

حركة العين فيها.[٦] أما في مضارع (فعُل) أو مضارع المزيد فلا تتغير الحركة إلى فتحة نتيجة لتحديد الحركة في هذه المضارعات.

وبما أن الاختيار بين الضمة والكسرة في مضارع (فعَل) يسير دون قاعدة، كما يرى، فإنه يمكن تصنيف ورودهما إلى قياسي وسماعي: فالقياسي، الضم في الأجوف والناقص الواويين، والكسر في الأجوف والناقص اليائيين. أما باقي الأفعال فالحركة فيها سماعية حيث وردت بعض الأفعال بضمّ العين وبعضها بكسرها وبعض آخر جاء باستعمال الضمة والكسرة كلتيهما.[٧]

ويبدو أن هناك ما يشبه الإجماع على أن الاختيار بين الضمّ والكسر في مضارع هذه الصيغة لا قاعدة له، بل يجب الالتزام بما ورد فيه. وهذا ابن درستويه يقول: «ليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عن العرب إلا الاستحسان والاستخفاف.»[٨] كما يروي السيوطي أن أبا زيد قال: «طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسال عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسر أولى، فلم أجد لذلك قياسا، وإنما يتكلم كل امريء منهم على ما يستحسن ويستخف لا غير ذلك.»[٩] وهناك من يرى أن «ما اقتصر فيه على وجه لابد فيه من السماع، ومنهم من قال: جواز الوجهين الضم والكسر إنما يكون عند مجاوزة المشاهير من الأفعال، أما في مشهور الكلام فلا يتعدى ما أتت به الرواية.[١٠]

---

(٦) رضى الدين محمد الحسن الاستراباذي، *شرح شافية ابن الحاجب*، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبدالحميد (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ)، مج١، ص١٢٠.

(٧) الاستراباذي، *شرح الشافية*، مج١، ص١١٨.

(٨) عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.)، مج١، ص٢٠٧.

(٩) السيوطي، *المزهر*، مج١، ص٢٠٧.

(١٠) أحمد بن يوسف اللبيلي الأندلسي، *بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال*، تحقيق جعفر ماجد (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م)، ص٣٣.

الدراســات الحديــثة

تناول بعض الدارسين المحدثين هذه الظاهرة وكان من أوائل من ناقشها منهم إبراهيم أنيس. فهو يرى أن تعدد الأبواب وكثرة الشذوذ في صيغ الفعل الثلاثي المجرد لا يشير إلى انتسابها إلى نظام لغوي موحد، بل هي مأخوذة من لهجات عربية قديمة متعددة.(١١) وهناك سبب آخر، كما يرى، لهذا الاضطراب وهو أن الكثرة الغالبة من الأفعال الثلاثية المجردة جاءتنا في المعاجم مكتوبة لا منطوقة.(١٢) وما يهمنا من دراسة إبراهيم أنيس هو ما يتعلق بظاهرة وجود الكسرة والضمة في مضارع (فعَل).

فهو يرى أن الضم في هذه الأفعال يجب أن ينسب إلى بيئة لغوية، بينما يجب أن ينسب الكسر إلى بيئة لغوية أخرى.(١٣) فالكسر يجب أن ينسب، في رأيه، إلى البيئة الحجازية التي آثرت الكسر في كثير من الصيغ. أما الضم فيجب أن ينسب إلى البيئة البدوية النجدية التي آثرت الضم في تلك الصيغ. غير أن إبراهيم أنيس يعود فيورد احتمال أن تكون هذه الأفعال المشتركة تنتسب إلى بيئة لغوية واحدة وذلك للعلاقة الصوتية الوثيقة بين الضم والكسر. ويستأنس لذلك بورود بعض الأفعال في القرآن الكريم من البابين؛ بل إن بعضها ورد من باب نصر في القرآن الكريم ومن باب ضرب في المعاجم وبالعكس.(١٤)

وقد قام الطيب البكوش بإحصاء ما ورد في معجمي *المحيط* و*المنجد* من باب (فعَل: يفعُل، يفعِل، يفعَل) فوجد أن الأفعال التي وردت بضمّ عين المضارع فيها أكثر من الأفعال التي وردت بالكسر. ويرجع ذلك، في رأيه، إلى أن للضمة مخرجين، فهي خلفية ولكنها أيضا أمامية من جهة استدارة الشفتين عند النطق بها فتكون مناسبة لجلّ الحروف، بينما الكسرة لا تلائم إلا الحروف المجاورة لها.(١٥) فهو يرى الربط بين نوع الحركة والأصوات الساكنة السابقة عليها واللاحقة لها؛ ويرى أن سبب الاختيار صوتي بحت،

---

(١١) إبراهيم أنيس، *من أسرار اللغة*، ط٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م)، ص٣٢.
(١٢) أنيس، *من أسرار اللغة*، ص٣٢.
(١٣) أنيس، *من أسرار اللغة*، ص٤٤.
(١٤) أنيس، *من أسرار اللغة*، ص٤٤.
(١٥) الطيب البكوش، *التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث* (تونس: توزيع محلات ع. بن عبدالله، ١٩٧٣م)، ص٩٢.

لكنـه يرجـع عن هذا إلى رأي الأقدمين وهو أن الأمر اختياري موكول إلى ذوق المتكلم وإحساسه بتجانس الأصوات .

ونخلص مما تقـدم إلى أن مسألة الاختيار بين الكسرة والضمة في مضارع (فعَل) واحدة من المسائل التي يكاد يجمع الأقدمون والمحدثون على أنها ، في الفصحى ، من الأمور السماعية التي لا يمكن أن نجد لها تعليلاً مقنعًا .

غير أن الطيب البكوش يشير إلى إمكان تحديد هذه الحركة عن طريق دراسة الظاهرة في اللهجات العربية المعاصرة .(١٦) كما يوحي إبراهيم أنيس بإمكان ارتباط نوع حركة العين في اللهجة القاهرية بنوع الأصوات الساكنة المجاورة لها .(١٧)

ومسـاهمـة في إلقـاء الضـوء على هذه الظاهرة فسأتناول بحثها في اللهجة البدوية الحجازية ، وهي لهجة تتكلمها مجموعات من قبيلة حرب التي تسكن المدينة المنورة والمناطق المحيطة بها .

إن دراسة اللهجات المعاصرة وخاصة لهجات الجزيرة العربية تفيدنا كثيرًا في اكتشاف جوانب كثيرة من تاريخ اللغة العربية التي تمثل الفصحى القمة فيها . وذلك بسبب أن هذه اللهجات لم تختلط إلا مؤخرًا باللهجات العربية خارج الجزيرة العربية . ونظرة واحدة تكفي للتـدليل على أن هذه اللهجـات تشـترك مع اللهجـات العـربية القديمة واللغة العربية الفصحى في جزء كبير من الظواهر الصوتية والنحوية والدلالية .(١٨)

وهناك أمر آخر هو أن نطق اللغة العربية الفصحى المعاصر لا يمكن الاستدلال به على هذه النـاحية الصوتية ؛ وذلك أنها ، كما يقول إبراهيم أنيس ، وصلت إلينا مكتوبة .

---

(١٦) البكوش ، *التصريف العربي* ، ص١٩٢ .

(١٧) أنيس ، *من أسرار اللغة* ، ص٣٤ ؛ لكن قارن ذلك بما يقوله Samuel Fox في مقاله :
"Organizational and Creative rules in Arabic," *in Papers from the 15th Regional Meeting* ed, P.R. Clyne, W.F. Hanks and C.L. Hofbauer (Chicago: Chicago Linguistic Society, 1979), pp.121-25.

(١٨) انظر في هذا الموضوع مقدمة أحمد الضبيب للترجمة العربية لكتاب ت . م جونستون ، *دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية* (الرياض : جامعة الرياض ، ١٣٩٥هـ) ، ص ص٦-٨ .

يضاف إلى هذا أن اللغة الفصحى، حتى قبل الكتابة، يتلوّن نطقها بالخصائص الصوتية للهجة الناطق بها. وهذه ظاهرة معروفة في الدراسة اللسانية الحديثة، فنطق الحركات وبعض الأصوات الساكنة في اللغة الإنجليزية النموذجية في بريطانيا يختلف، مثلاً، عن نطق الأمريكيين لها، بل إن نطق اللغة الإنجليزية النموذجية في بريطانيا نفسها، على صغر حجمها، يختلف من مكان إلى مكان آخر.

حركة عين مضارع فعَل في اللهجة البدوية الحجازية

ولدراسة حركة مضارع هذه الصيغة فقد استخرجت من *لسان العرب* الأفعال التي تكون حركة عين المضارع فيها إما الضمة أو الكسرة أو التي تتناوبها الضمة والكسرة، ومن ثم رأيت كيفية نطقها في هذه اللهجة.

وقبل إيراد المقارنة بين هذه الأفعال في الفصحى واللهجة البدوية الحجازية، أودّ أن أستعرض ثلاثة قوانين صوتية تعمل عملها في هذه اللهجة وتلك القوانين هي:

أ ـ تفخيم الرّاء.
ب ـ تفخيم اللام.
جـ ـ التغوير (نطق الكاف والگاف [g] نطقًا مزجيًّا في موضع متقدم من الحنك الرخو). وسوف أناقش هذه القوانين بالترتيب وأورد الأدلة على أنها قوانين صوتية لا ترتبط بأية صيغة صرفية.

تفخيم الرّاء

تنطق الراء في هذه اللهجة نطقًا مفخمًا إذا كانت تجاور الفتحة في مقطع واحد، سواء أكانت الفتحة سابقة لها أم تالية:(١٩)

(١٩) سأتبع في كتابة الأمثلة في هذه المقالة كتابة الحروف مفرقة، وسأستعمل الرموز الآتية: [ر] و[ل] للدلالة على الراء واللام المفخمتين؛ [ګ] للدلالة على الصوت الذي تستعمله اللهجة في مكان القاف، وهو ينطق مثل الجيم القاهرية؛ [ك]، و[گ] للكاف والكَاف المغوّرتين؛ وسأستعمل النقطة على السطر علامة للحدّ بين المقاطع. وسأكتب الفتحة والضمة فوق شرطة صغيرة أما الكسرة فسأضعها تحت هذه الشرطة.

(١)

ك ـَ ٠ ر ـَ م	كَرَم
ف ـَ ٠ ر ـَ ح	فَرَح
ح ـَ ٠ ف ـَ ر	حَفَر
ص ـِ ٠ ب ـَ ر	صِبَرْ [صَبَر]
ر ـَ ٠ ع ـَ د	رَعَدْ [رَعْد]

ويمكن أن تصاغ هذه القاعدة في الصور الآتية: (٢٠)

(٢) قاعدة تفخيم الراء: ر ← ر/ ـَ ـــ ٠٪

وتجدر الإشارة إلى أن الراء في بعض الأمثلة غير مفخمة على الرغم من وجودها في مقطع واحد مع الفتحة. ومن الأمثلة مايلي:

(٣)

ف ـَ ر د	فَرْد
س ـَ ر ج	سَرْج
ف ـَ ر ث	فَرْث
غ ـَ ر س	غَرْس

ولتلمس السبب الذي من أجله لم تفخم الراء في هذه الأمثلة وما يشبهها، يحسن أن نقارنها بمايلي من الأمثلة حيث الراء مفخمة:

(٤)

گ ـَ ر م	قَرْم
ف ـَ ر خ	فَرْخ
ف ـَ ر ع	فَرْع
ز ـَ ر ف	زَرْف
ز ـَ ر ب	زَرْب

(٢٠) يشير السهم إلى أن الصوت الذي يقع عن يمينه يتحول إلى الصوت الذي عن يساره؛ أما الخط المائل فمعناه «في موضع»؛ أما الخط المستقيم (الشّرطة) فيدل على الموضع الذي يشغله الصوت المتغيّر؛ وتشير النقطة إلى حد المقطع؛ كما تشير علامة ٪ إلى أن هذا التغير يحدث إذا كانت الفتحة سابقة أو لاحقة للراء. أما القوسان ( ) فيشيران إلى أن ما بينهما يمكن أن يكون موجودًا وقد لا يكون موجودًا؛ س: صوت ساكن أو صامت. أما في القاعدة رقم (٥) أدناه، فتعني (ـ لثوي، ـ أسناني): غير لثوي، وغير أسناني.

فإذا قارنا بين الأصوات الساكنة التي تتلو الراء في (٣) مع تلك التي تتلو الراء في (٤) تبين لنا أن الأصوات الساكنة التي تتلو الراء في (٣) تدخل في نطقها مقدمة اللسان، حيث ترتفع لتلامس اللثة، أو بوضعها بين الأسنان العليا والسفلى الأمامية. أما في (٤)، فإن اللسان إما أنه لا يتدخل في نطق الأصوات الساكنة التي تتلو الراء (م، ف، ب) أو أن الجزء الفاعل منه هو مؤخرته حيث ينسحب قليلاً إلى الخلف مما يجعل مقدمته موازية للمنطقة التي بين الحنك واللثة. وفي حركة اللسان هذه إلى الخلف تحديد لحريته حيث لا يستطيع أن ينطق إلا الراء المفخمة.

ولذلك فإنه لابد لنا من تعديل القاعدة التي تفخم الراء (٢) حتى تأخذ في حسبانها طبيعة الصوت اللاحق للراء في مثل هذه الحالات:

(٥) قاعدة تفخيم الراء: ر ← رِ/ ـَـ ـــ ([س / ـ لثوي / ـ أسناني]) ٪

وتجب الإشارة هنا إلى ملاحظتين هما:

أ ـ أن الراء مرققة إذا كانت الأصوات اللثوية أو الأسنانية تليها مباشرة. أما إن كانت الفتحة تفصل بينهما فلا تأثير لهذه الأصوات الساكنة على نطق الراء:

(٦) ف ـَ ٠ ر ـَ د — فَرَد
ش ـَ ٠ ر ـَ د — شَرَد

ب ـ أن هذه الأصوات الساكنة تؤثر في الراء إذا تلتها مباشرة حتى وإن لم تكن هذه الأصوات الساكنة في المقطع الذي فيه الراء:

(٧) د ـَ ر ٠ س ـُ ٠ هـ ـُ م — دَرْسُهُم
ي ـَ ر ٠ ج ـَ ع — يَرْجَع
ب ـَ ر ٠ ز ـَ هـ — بَرْزَه

وعدم تفخيم الراء في هذه المواضع ناتج، كما قدمنا، عن تحديد حرية اللسان في الحركة. فمن غير اليسير على اللسان أن يقوم بحركات متعارضة، وبدلاً من ذلك يميل إلى نطق الأصوات المتجاورة بأقل جهد. هذا هو حال الراء مع الفتحة. ولننظر الآن إلى حاله مع الكسرة والضمة.

يجد الملاحظ أن هناك العديد من أزواج الكلمات التي لا يميز بينها إلا تفخيم الراء أو ترقيقها في جوار هاتين الحركتين وذلك على الرغم من أن الفارق المميز بين هاتين الحركتين في هذه الكلمات ضئيل جدًّا في بعض الأحيان، ومن هذه الأزواج مايلي:

(٨)

ف ـُ بِ ر ٠ گ ـَ هـ	فُرْقَة
ف ـِ ر ٠ گ ـَ هـ	فِرْقَة
ك ـُ ٠ ب ـُ بِ	كُبُر
ك ـِ ٠ ب ـِ ر	كِبر
گ ـُ بِ ر ٠ ب ـَ هـ	قُرْبَة
گ ـِ ر ٠ ب ـَ هـ	قِرْبَة
ج ـِ ر م	جِرْم
ج ـُ ر م	جُرْم
ر ـِ ك ٠ ب ـَ هـ	رِكْبَة
ر ـُ ك ٠ ب ـَ هـ	رُكْبَة

ويتبين من هذه الأمثلة أن اللهجة تميز بين الكسرة والضمة، فهما، فيها، حركتان مستقلتان تميزان الكلمات بعضها عن بعضه، والتي لولاهما وما يتبعهما من تفخيم الراء أو ترقيقها لما تمّ التمييز بين تلك الكلمات.

وبما أنّ الراء تفخم إذا كانت مع الضمة في مقطع واحد فإنه لابد من تعديل القاعدة التي تفخم الراء حتى تشمل هذه الحالة:

(٩) قاعدة تفخيم الراء: ر ← بِ/ { ـَ / ـُ } ـ ([س / ـ لثوي / ـ أسناني]) ٪

ومن الملاحظ في هذه اللهجة أن الراء تبقى مفخمة أو غير مفخمة وإن حذفت الحركة المجاورة لها:

(١٠)

رُكـَـب	رْقاب
رجـَـل	رْجال
ربـُـع	رْبـوع
ربـَـع	رْبـاع
رُكـُ ٠ بـَـه	رْقُبَة

تفخـيم الـلام

تنطق اللام نطقاً مفخمًا إذا سبقها أحد الأصوات المطبقة (ص، ض، ط)[٢١] أو الخاء أو الغين وذلك على شرط أن تكون الفتحة هي الحركة الفاصلة بين هذه الأصوات واللام:

(١١)

دـَ ٠ خـَـل	دَخَل
بـَ ٠ غـَـل	بَغَل
فـِ ٠ صـَـل[٢٢]	فِصَل
بـِ ٠ صـَـل	بِصَل
طـَ ٠ لـَـب	طَلَب
ظـَ ٠ لـَـم	ظَلَم
خـَ ٠ بـَـل	خَبَل

وقد تكون اللام والأصوات السابقة في مقطع واحد كما قد لا تكون، وذلك ما تبينه الأمثلة السابقة. وإذا فُصل بين هذه الأصوات واللام بصوت ساكن فيجب أن يكون الصوت الساكن غير لثوي وغير أسناني وإلا فاللام تنطق مرققة:

---

(٢١) اختفت الضاد في هذه اللهجة كما في بعض اللهجات الأخرى، وحلّت مكانها الظاء.

(٢٢) أصل الحركة في المقطع الأول من هذه الكلمة فتحة ولكنها تغيرت هنا إلى حركة عالية بحسب قانون صوتي يغير الفتحة في المقطع القصير المفتوح إلى حركة عالية (انظر: Hamza Q. Al-Mozainy, "Vowel Alternations in a Bedouin Hijazi Arabic Dialect: Abstractness and Stress". Ph.D. dissertation, (The University of Texas at Austin, 1981), pp.52-72.

(١٢)

غ ـَ ٠ س ـَ ل	غَسَل
غ ـَ ٠ ز ـَ ل	غَزَل
ط ـِ ٠ ش ـَ ل	طِشَل
خ ـَ ٠ ذ ـَ ل	خَذَل

وتفسير هذه الحالة يشبه التفسير الذي وجدناه في عدم تفخيم الراء إذا كانت مجاورة لمثل هذه الأصوات؛ فلأن نطق هذه الأصوات يتطلب جذب مقدمة اللسان إلى منطقة متقدمة من الفم فإن النطق المناسب للّام لا يكون إلا الترقيق.

وتفخم اللام أيضا إذا كانت الحركة الفاصلة بين هذه الأصوات واللام هي الضمة:

(١٣)

ش ـُ ٠ غ ـُ ل[٢٣]	شُغُل
ظ ـُ ل م	ظُلْم
غ ـُ ل ب	غُلْب

أما إذا كانت الحركة هي الكسرة فلا تفخم اللام:

(١٤)

ط ـِ ٠ ف ـِ ل[٢٤]	طِفِل
خ ـِ ٠ ب ـِ ل	خِبِل
ظ ـِ ل ل	ظِل

ولذلك فإن القاعدة الصوتية التي تفخم اللام في هذه المواضع يمكن صوغها بالصورة الآتية:

(١٥) تفخيم اللام: ل ← ل / [صوت ساكن مستعل أو خاء أو غين] [ـَ ـُ] ـــ

(٢٣) الحركة بين الغين واللام مزيدة (انظر القانون الذي يزيدها في Al-Mozainy, "Vowel Alternations," pp.70-72.

(٢٤) انظر التعليقة (٢٣) فيما يخص الحركة التي بين الصوتين الساكنين في آخر الكلمة.

التغويـــر

ينطق الكَاف [گ] والكاف نطقًا متقدمًا في هذه اللهجة إذا كان أحد هذين الصوتين مجاورًا لكسرة أو فتحة مرققة: (٢٥)

(١٦)

كـ ـَ ل ب	كَلْب
گـ ـَ ل ب	قلْب
گـ ـَ ل ٠ ع ـَ هـ	قلْعة
گـ ـِ ر ٠ ب ـَ هـ	قِرْبَة

ولا يحدث هذا التغير إذا كانت هناك ضمة. وقد سبق أن رأينا أن هناك بعض الكلمات التي لا يميز بينها إلا وجود الكسرة أو الضمة وهما اللتان توجبان التغوير أو عدمه، والترقيق أو التفخيم:

(١٧)

گـ ـِ ر ٠ ب ـَ هـ	قِرْبَة
گـ ـُ ر ٠ ب ـَ هـ	قُرْبَة
كـ ـِ ٠ ب ـِ ر	كِبر
كـ ـُ ٠ ب ـُ ر	كُبر
گـ ـُ ل ت	قُلْت
كـ ـُ ن ت	كُنْت
كـ ـِ ل ت	كِلْت

ويمكن صوغ هذه القاعدة على النحو الآتي:

(١٨) ك) ← كـ / [حركة أمامية] ٪
گ) گـ

مقارنة مضارع الفعل المجرد (فعَل) في الفصحى بنظيره في اللهجة البدوية الحجازية

إن مقارنة مضارع (فعَل) في اللغة الفصحى بنظيره في اللهجة البدوية الحجازية قد تكشف لنا طبيعة الحركة في هذه الصيغة. وبما أن الحركة العالية التي نسمعها في مضارعات هذا الفعل في اللهجة البدوية الحجازية ليست ضمة خالصة في أكثر الأمثلة بل هي حركة

(٢٥) تجب ملاحظة أن التغوير هنا يختلف عن التغوير في اللهجات النجدية. فالتغوير في هذه اللهجة تقديم طفيف للكَاف والكاف.

متوسطة بين الضمة والكسرة، وفي أمثلة كثيرة هي إلى الكسر أقرب، فإن الدليل على طبيعة هذه الحركة سيكون غير مباشر، ونعني بذلك أننا سوف نستخدم القوانين الثلاثة التي ذكرناها سابقًا للتدليل على نوعيتها.

ولهذا الغرض استخرجت من *لسان العرب* تلك الأفعال التي وردت بضمّ عين مضارعاتها، وتلك التي وردت بكسرها، بالإضافة إلى تلك الأفعال التي وردت بالضم والكسر كليهما. ومن ثم رأيت كيف تنطق هذه الأفعال في اللهجة البدوية الحجازية.

وقد بلغ عدد الأفعال التي تنطق في الفصحى بضمّ عينها، في هذه الإحصائية، مائتين وثمانين فعلاً، ومن بين هذه الأفعال هناك مائة وسبعة أفعال لا تستعمل في اللهجة، وذلك لأسباب منها:

أ ـ أن بعض هذه الأفعال نادر في الفصحى نفسها، مثل (أَبَشَ: يأبُش؛ دمَق: يدمُق).

ب ـ وبعضها تحولت حركة عين مضارعاتها في هذه اللهجة إلى فتحة (زعَم: يزعُم، طلَع: يطلُع).

جـ ـ وبعضها استعيض عنه بصيغة أفعل (حزَن: يحزُن).

د ـ وبعضها أهمل واستعمل مرادفه (صمَت: يصمُت).

أما الأفعال التي جاءت مكسورة عين المضارع فقد بلغت ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين فعلاً؛ وبلغ غير المستعمل في اللهجة منها مائة وستة وثلاثين، وذلك أن كثيرًا منها غريب في الفصحى (أتَن: يأتِن؛ أبَث: يأبِث، حبَض: يحبِض) وبعض الأفعال تحولت حركة عينها إلى فتحة (رجَع: يرجِع؛ نكح: ينكِح)، وبعضها استعيض عنه بمرادفه.

كما بلغ عدد الأفعال التي ترددت حركة عينها بين الضمة والكسرة في الفصحى مائة واثنين من الأفعال. ومنها ثلاثون فعلاً غير مستعملة في اللهجة وذلك أن كثيرًا منها غريب في الفصحى (أبَض: يأبِض، أبَت: يأبِت).

أما في اللهجة، فكما قدمت، فإن الضمة في هذه الأفعال قليلاً ما تسمع ضمة خالصة، بل هي إما حركة متوسطة بين الكسرة والضمة أو هي كسرة خالصة.

وإذا نظرنا في الأفعال المستعملة في اللهجة من مضارع (فعَل) وجدنا أن الراء تفخّم في أغلب هذه الأفعال، سواء أكانت الراء سابقة للحركة أم لاحقة لها. وكذلك التغوير، فلا نجد فعلاً واحدًا تنطق الكَاف والكاف في مضارعه نطقًا مغورًا إذا هي سبقت حركة العين أو لحقتها. والأمر نفسه في تفخيم اللام حيث نجدها مفخمة كلما سبقت بخاء أو غين أو أحد الأصوات المطبقة. وإذا زعمنا أن تفخيم الراء واللام وعدم تغوير الكَاف والكاف دليل على أن حركة العين في مضارع هذه الأفعال هي الضمة وجدنا أن لدينا مائتين وسبعة وثلاثين فعلاً مما حركة عين مضارعه الضمة، ومائة وواحدًا وستين فعلاً مما حركة عينه الكسرة. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأفعال مضمومة العين في الفصحى يمكن أن تعدّ مكسورتها في اللهجة، والعكس صحيح فيما يخص مكسور العين. فمن بين مائة وواحد وسبعين فعلاً بقيت في اللهجة مما حركة مضارعه في الفصحى الضمة هناك مائة وثمانية أفعال حركة عينها الضمة في اللهجة، وأربعون فعلاً حركة عينها الكسرة. ومن بين مائة وأربعة وثمانين فعلاً مكسور العين في الفصحى نجد في اللهجة ثمانية وثمانين فعلاً مما يمكن أن تعد حركة العين فيه الضمة وتسعين فعلاً حركة العين فيه الكسرة. ومن الأفعال التي تتردد بين الضمة والكسرة في الفصحى هناك واحد وأربعون فعلاً مضموم العين وواحد وثلاثون فعلاً مكسورها.

ولنستعرض هذه الأفعال فيمايلي: ونبدأ بما كانت الراء فيه عين الفعل أو لامه. وفي هذه الفصيلة من الأفعال نجد أن هناك ثمانية وعشرين فعلاً الراء فيها مرققة وهي الأفعال الآتية:

ي ح ـَ ٠ ر ـِ س[٢٦]	يَحْرس
ي ـَ ث ٠ ر ـِ د	يَثْرِد

(٢٦) يلاحظ أن الحاء والفتحة في المقطع الأول قد تبادلا الموضع؛ فبدلاً من الصيغة الأساسية لهذه الكلمة وهي: /ي ـَ ح ٠ ر ـِ س/ أصبحت [ي ح ـَ ٠ ر ـِ س]. ويحصل هذا التبادل نتيجة لقاعدة صوتية موجودة في كثير من لهجات شبه الجزيرة العربية يكون من أثرها أنه إذا كان المقطع الأول أو الثاني من بداية الكلمة مقطعًا متوسطًا مغلقًا وكان صوت الإغلاق الساكن فيه صوتًا حلقيًا (أ، هـ، ع، ح، خ، غ) وحركة هذا المقطع الفتحة، فإن الصوت الساكن هذا والفتحة يتبادلان الموضع. انظر عن هذا القانون: جونستون، دراسات، ص٥٨؛ Al-Mozainy, "Vowel Alternations," pp. 168-83.

ي ح ـَ ٠ ر ـِ ث	يَحْرِث
ي خ ـَ ٠ ر ـِ ت	يَخْرِت
ي ـَ س ٠ ر ـِ د	يَسْرِد
ي ـَ ط ٠ ر ـِ د	يَطْرِد
ي ـَ ف ٠ ر ـِ د	يَفْرِد
ي ـَ م ٠ ر ـِ د	يَمْرِد
ي ـَ م ٠ ر ـِ س	يَمْرِس
ي هـ ـَ ٠ ر ـِ س	يَهْرِس
ي ح ـَ ٠ ر ـِ ف	يَحْرِف
ي ـَ ظ ٠ ر ـِ ب	يَضْرِب
ي ع ـَ ٠ ر ـِ ف	يَعْرِف
ي غ ـَ ٠ ر ـِ س	يَغْرِس
ي غ ـَ ٠ ر ـِ ف	يَغْرِف
ي ـَ ف ٠ ر ـِ س	يَفْرِس
ي هـ ـَ ٠ ر ـِ ج	يَهْرِج
ي ـَ ز ٠ ر ـِ د	يَزْرِد
ي ـَ ص ٠ ب ـِ ر	يَصْبِر
ي ـَ ص ٠ ر ـِ ف	يَصْرِف
ي ـَ ص ٠ ر ـِ م	يَصْرِم
ي هـ ـَ ٠ د ـِ ر	يَهْدِر
ي ـَ ـَ ٠ ب ـِ ر	يابِر
ي ـَ ـَ ٠ م ـِ ر	يامِر
ي ـَ ـَ ٠ س ـِ ر	ياسِر
ي ـَ ـَ ٠ ج ـِ ر	ياجِر
ي ح ـَ ٠ ف ـِ ر	يَحْفِر

أما الأفعال التي تفخم الراء فيها إذا كانت عينًا أو لامًا فعددها في اللهجة مائة وخمسة أفعال، وفيمايلي أمثلة لها:

(٢٠)

ي ـَـگ٠ ر ـُـ ش	يَقْرُش
ي ع ـَـ ٠ ر ـُـ م	يَعرُم
ي ـَـ ش ٠ ر ـُـ ط	يَشْرُط
ي ـَـ ب ٠ ر ـُـ ظ	يَبْرُض
ي ـَـ ج ٠ ر ـُـ د	يَجْرُد
ي ـَـ ج ٠ ر ـُـ ش	يَجْرُش
ي ـَـ ج ٠ ر ـُـ ف	يْجْرُف
ي ح ـَـ ٠ ر ـُـ ب	يْحَرُب
ي ح ـَـ ٠ ر ـُـ ك	يْحَرُك
ي خ ـَـ ٠ ر ـُـ ج	يْخَرُج
ي خ ـَـ ٠ ر ـُـ ص	يْخَرُص
ي خ ـَـ ٠ ر ـُـ ط	يْخَرُط
ي هـ ـَـ ٠ ذ ـُـ ر	يْهَذُر
ي ـَـ ن ٠ ث ـُـ ر	يَنْثُر
ي ـَـ ن ٠ ذ ـُـ ر	يَنْذُر
ي ـَـ ش ٠ ب ـُـ ر	يَشْبُر
ي ـَـ ز ٠ م ـُـ ر	يَزْمُر

ويمكن أن يتبادر إلى الذهن أنه مادمنا نجد الراء في بعض الأفعال مرققة وفي بعضها الآخر مفخمة في جوار حركة عين المضارع فإننا قد نكون محقين في عدّ الحركة كسرة في الأفعال التي تكون الراء فيها مرققة بينما هي الضمة في الأفعال التي تكون الراء فيها مفخمة. لكننا إذا فحصنا الأمثلة التي ترقق الراء فيها فإننا نجد أنه، إذا كانت الراء عينًا للفعل، فإن لام الفعل قد تكون واحدة من الأصوات الساكنة الآتية:

(٢١) ـ د
ـ ث
ـ ت
ـ س
ـ ج
ـ ف
ـ ب

أما إذا كانت الراء لامًا للفعل فإن عين الفعل قد تكون واحدة من الأصوات التالية :

(٢٢) د
س
ج
ب
م
ف

وبما أنه سبق لنا أن رأينا أن الراء ترقق إذا وليتها الأصوات الساكنة اللثوية أو الأسنانية، فهل يمكن أن نعد ترقيق الراء هنا من آثار هذا الاتجاه؟ وبمعنى آخر هل نستطيع القول بأن الحركة في هذه الأفعال هي الضمة أصلاً وأنها تحولت إلى كسرة بسبب مجاورتها للأصوات الساكنة اللثوية والأسنانية، وأن ترقيق الراء كان نتيجة لتحول الضمة إلى كسرة؟ إن أثر الأصوات الأسنانية واللثوية على الضمة إذ تحولها إلى حركة متوسطة أو أمامية، أمر معروف في لغات عديدة. (٢٧)

(٢٧) انظر في هذه المسألة : P. Ladefoged, "What are Linguistic Sounds Made Of", *Language* 56 (1980), 485-502; W. Pagliuca and Mowrey, "On Certain Evidence For the Feature [Grave]," *Language*, 56 (1980). pp.502-514; J. Ohala, "Phonetic Explanation in Phonology," *Paper from The Parassion on Natural Phonology*, ed. A.Brnch, R. Fox and M.W. La Galy (Chicago Lingustic Society, 1974), pp.251-74.

بيد أنه يجب ملاحظة أن هناك بعض الأمثلة التي ترقق الراء فيها مع أن صوت العين فيها هو الفاء أو الباء أو الميم وهي أصوات ساكنة لا يدخل اللسان في نطقها. ومن ناحية أخرى نجد أن الأصوات الساكنة الأسنانية واللثوية تكون عين الفعل في كثير من الأمثلة التي تفخم الراء فيها. على أن هذا الوضع قد يكون ناتجًا عن طبيعة الراء، فهي صوت ليس له مكان نطق محدد في كثير من اللغات ولذلك فهي سهلة التأثر بما يجاورها من أصوات.[٢٨]

على أننا نلاحظ أن الراء مرققة دائمًا في المشتقات والماضي المبني للمجهول وفي مضارع الأفعال المجردة. وهذا نتيجة لكون الحركة المجاورة في هذه الصيغ هي الكسرة دائمًا. ومن أمثلة ذلك مايلي:

(٢٣) اسم الفاعل:	ساحِر	س ـَـ ٠ ح ـِ ر
	عارِف	ع ـَـ ٠ ر ـِ ف
المبني للمجهول:	عُرِف	ع ر ـِ ف[٢٩]
	كُسِر	گ س ـَ ر
مضارع المزيد:	يُبارِز	ي ب ـَـ ٠ ر ـِ ز
	يُعافِر	ي ع ـَـ ٠ ف ـِ ر
	يُعَمِّر	ي ع ـَ م ٠ م ـِ ر
	يُعَرِّف	ي ع ـَ ر ٠ ر ـِ ف

الأفعال المضارعة التي تكون اللام فيها عينًا أو لامًا

رأينا فيما سبق أن اللام تفخم إذا سبقتها الخاء أو الغين أو واحد من الأصوات الساكنة المطبقة. وقد يكون أحد هذه الأصوات سابقًا للام ولا يفصل بينهما فاصل، وقد يفصل بينه وبين اللام صوت ساكن أو حركة، لكن الصوت الساكن الفاصل لابدّ أن يكون

---

(٢٨) Mona Lindun, "The Story of /r/," in *Phonetic Linguistics: Essays in Honor of Peter Ladefoged,* ed. Victoria Fromkin (New York: Academic Press, 1985), pp. 157-68.

(٢٩) هناك قاعدة صوتية تحذف الحركة العالية في المقطع القصير المفتوح. ولذلك حذفت الحركة العالية بين الصوتين الساكنين الأول والثاني في هذه الأفعال وما يشبهها. (انظر عن هذا القانون Al-Mozainy, "Vowel Alternations," pp.45-51.

غير أسنـاني وغـير لثوي وأن تكون الحركة إما الضمة أو الفتحة. وفيمايلي أمثلة للأفعال المضارعة التي تكون اللام فيها مفخمة:

(٢٤)

ي خ ـَ ٠ ل ـُ ف	يْخَلُف
ي ـَ ص ٠ ل ـُ ب	يَصْلُب
ي خ ـَ ٠ ل ـُ ك	يْخَلُق
ي خ ـَ ٠ ل ـُ ط	يْخَلُط
ي غ ـَ ٠ ل ـُ ب	يْغَلُب
ي ـَ ن ٠ ص ـُ ل	يَنْصُل
ي ـَ د ٠ خ ـُ ل	يَدْخُل
ي ـَ ف ٠ ص ـُ ل	يَفْصُل
ي ـَ ك ٠ ص ـُ ل	يَقْصُل
ي هـ ـَ ٠ ظ ـُ ل	يْهَظُل
ي غ ـَ ٠ ف ـُ ل	يْغَفُل
ي غ ـَ ٠ م ـُ ل	يْغَمُل
ي ع ـَ ٠ ظ ـُ ل	يْعَضُل
ي ح ـَ ٠ ص ـُ ل	يْحَصُل
ي ـَ ص ٠ ك ـُ ل	يَصْقُل

ففي هذه الأفعال كلها وغيرها، مما تكون اللام فيه عينًا أو لامًا للفعل مسبوقة بصوت مطبق أو خاء أو غين، نجد اللام مفخمة. والاستثناء الوحيد لهذه الظاهرة نجده عندما يفصل بين اللام والأصوات الساكنة المطبقة أو الخاء أو الغين صوت أسناني أو لثوي:

(٢٥)

ي غ ـَ ٠ س ـِ ل	يْغَسِل
ي غ ـَ ٠ ز ـِ ل	يْغَزِل
ي ـَ ط ٠ ش ـِ ل	يطَشِل
ي خ ـَ ٠ ت ـِ ل	يْخَتِل

وتفسير هذا الاستثناء ما قدمناه من أن هذه الأصوات تستدعي أن ينجذب اللسان إلى مقدمة الفم مما يجعل مقدمته بعيدة عن الموضع الذي تنطق منه اللام المفخمة، ويتبع من ذلك أن الضمة في هذه المواضع تسمع كسرة أو قريبة منها؛ ولذلك كتبتها هنا كسرة.

وبينما لا نجد فعلاً واحدًا لا تفخم لام المضارع المجرد فيه إذا سُبق بهذه الأصوات الساكنة ماعدا الاستثناء الذي ذكرناه، فإننا نجد اللام في المشتقات والماضي المبني للمجهول ومضارع المزيد مرققة دائمًا حتى لو سبقتها الخاء أو الغين أو واحد من الأصوات الساكنة المطبقة، ومن أمثلة ذلك مايلي:

(٢٦)	غ ـَـَ ٠ ف ـِ ل	غافِل
	غ ـَـَ ٠ ل ـِ ب	غالِب
	غ ل ـِ ب	غُلِب
	غ ف ـِ ل	غُفِل
	ي غ ـَـَ ٠ ف ـِ ل	يُغافِل
	ي غ ـَ ل ٠ ل ـِ ب	يُغَلِّبَ

وقد يرى القاريء أن وجود الضمة في الأفعال التي رأيناها في (٢٤) يستدعيه وجود الخاء أو الغين أو أحد الأصوات الساكنة المطبقة. لكننا يجب أن نشير إلى أن هذه الأصوات قد لا تكون عينًا أو لامًا للفعل، فكيف نريد أن نربط بين حركة العين وصوت غير مجاور لها؟

أما التفسير الذي أظنه أكثر احتمالاً فهو أن حركة العين في هذه الأفعال هي الضمة أصلاً وأن تفخيم اللام يحدث بسبب وجود هذه الضمة في أصل الفعل. وليس هناك من داع صوتي لتكون هذه الحركة ضمة أصلاً، بل الذي يبدو لي أن هذا يشير إلى أن حركة العين في المضارع المجرد هي الضمة أساسًا. ولو كان الاختيار بين الكسرة والضمة يسير دون قاعدة لوجدنا أفعالاً لا تكون اللام فيها مفخمة، وفي هذا ما يشير إلى وجود الكسرة حركة أصلية في تلك الأفعال.

عدم التغوير في مضارع فعل

سبق أن رأينا أن التغوير يتم في جوار الفتحة المرققة أو الكسرة. غير أن الملاحظ أن الأفعال المضارعة من (فعَل) والتي تكون فيها العين أو اللام كَئافًا أو كَافًا لا يتم التغوير فيها

أبدًا وذلك على الرغم من أن الحركة العالية في هذه الأفعال ليست ضمة خالصة في كثير من الأمثلة، بل هي أقرب ما تكون إلى الكسرة في بعض الأفعال. وفيما يلي بعض الأفعال المضارعة التي لا يتم فيها التغوير:

(٢٧) (أ)	ي ـَ ن ٠ گ ـُ ز	يَنْقُز
	ي ح ـَ ٠ گ ـُ ن	يَحْقُن
	ي ـَ د ٠ گ ـُ م	يَدْقُم
	ي ـَ ث ٠ گ ـُ ب	يَثْقُب
	ي ع ـَ ٠ گ ـُ ب	يَعْقُب
	ي ـَ ن ٠ گ ـُ د	يَنْقُد
	ي ـَ ن ٠ گ ـُ ب	يَنْقُب
(ب)	ي ـَ ن ٠ ك ـُ ش	يَنْكُش
	ي ـَ ر ٠ ك ـُ ز	يَرْكُز
	ي ح ـَ ٠ ك ـُ م	يَحْكُم
	ي ـَ س ٠ ك ـُ ب	يَسْكُب
	ي ـَ س ٠ ك ـُ ت	يَسْكُت
	ي ـَ س ٠ ك ـُ ن	يَسْكُن
	ي ـَ ف ٠ ت ـُ گ	يَفْتُق
	ي ـَ ش ٠ ن ـُ گ	يَشْنُق
	ي ـَ د ٠ ف ـُ گ	يَدْفُق
	ي ـَ س ٠ ب ـُ گ	يَسْبُق
	ي ح ـَ ٠ ل ـُ گ	يَحْلُق
	ي ح ـَ ٠ ز ـُ گ	يَحْزُق
	ي ع ـَ ٠ ت ـُ گ	يَعْتُق
	ي ـَ ن ٠ ك ـُ ب	يَنْكُب
	ي ـَ ن ٠ ك ـُ س	يَنْكُس
	ي ـَ ن ٠ ك ـُ ث	يَنْكُث

ي ـَ ش ٠ ك ـُ ر	يَشْكُر
ي ـَ م ٠ ك ـُ ر	يَمْكُر
ي ع ـَ ٠ ك ـُ ر	يْعَكُر
ي ح ـَ ٠ ك ـُ ر	يْحَكُر

وإذا قارنا هذه الأفعال بمشتقاتها أو بالماضي المبني للمجهول أو بمضارع المزيد منها وجدنا أن هذين الصوتين مغوران في هذه الصيغ جميعها:

(٢٨)

م ـَ ـَ ٠ ل ـِك	مالِك
م ـَ ـَ ٠ ر ـِگ	مارِق
م س ـِك	مْسِك
ف ر ـِك	فْرِك
د ف ـِگ	دْفِق
ي س ـَ ـَ ٠ك ـِ ن	يْساكِن
ي س ـَك ٠ك ـِ ن	يسَكِّن
ي ن ـَگ ٠گ ـِ ل	يْنَقِّل
ي ن ـَ ـَ ٠گ ـِ ز	يْناقِز

وقد يسلّم القاريء بأن حركة العين في مضارع (فعَل) في هذه الأمثلة وما يشبهها هي الضمـة، لكنه يرى أيضا أن وجود الضمة هنا دليل على ارتباط نوعية الحركة بنوع الأصوات المجاورة لها. فوجود الضمة في هذه الأفعال تابع لوجود الگاف والكاف عينًا للفعل أو لامًا له. لكن الملاحظ أننا لا نجد التغوير في هذا المضارع حتى وإن لم تكن الگاف أو الكاف عينًا للفعل أو لامًا له:

(٢٩)

ي ـَ ك ٠ ت ـِ ل	يَقْتِل
ي ـَگ ٠ ف ـِ ل	يَقْفِل
ي ـَگ ٠ ن ـِ ب	يَقْنِب
ي ـَ ك ٠ ن ـِ س	يَكْنِس
ي ـَ ك ٠ ت ـِ ب	يَكْتِب

ي ـَ ك ٠ م ـِ ل	يَكْمِل
ي ـَ ك ٠ ب ـِ س	يَكْبِس
ي ـَ ك ٠ ت ـِ ف	يَكْتِف
ي ـَ ك ٠ ش ـِ ف	يَكْشِف
ي ـَ ك ٠ ف ـِ ت	يَكْفِت
ي ـَ ك ٠ ن ـِ ز	يَكْنِز
ي ـَ ك ٠ د ـِ م	يَكْدِم

وعدم تغوير الگاف والكاف هنا دليل على أن الفتحة قبلهما ليست مرققة. فما السبب يا ترى في عدم ترقيقها إذا كانت حركة العين كسرة أصلاً؟

أما إذا أخذنا حركة العين على أنها الضمة فإن سبب عدم ترقيق الفتحة وبالتالي عدم التغوير سيكون واضحًا جليًا.

ومن الجدير بالإشارة أن هناك فعلين مما تكون الگاف والكاف الصوت الأول فيه ويكونان مغورين:

(٣٠)

ي ـَ گ ٠ ذ ـِ ب	يَكْذِب
ي ـَ گ ٠ ل ـِ ب	يَقْلِب

لكن سبب هذا يتضح إذا نظرنا إلى الصوتين الساكنين اللاحقين لهما وهما الذال واللام. وهذا لا يشذّ عما رأيناه سابقًا من تأثير الأصوات الأسنانية واللثوية على نوع الحركة. فقد غورت الگاف والكاف هنا لأن حركة العين أصبحت أمامية، ومن ثم أثرت على الحركة السابقة إذ تم ترقيقها وبالتالي غورت الگاف والكاف في جوارهما.

رأينا حتى الآن أن أغلب الأفعال المضارعة التي تكون الراء فيها عينًا أو لامًا، والأفعال التي تكون اللام فيها عينًا أو لامًا مسبوقة بالخاء أو الغين أو أحد الأصوات الساكنة المطبقة، والأفعال التي تكون عينها أو لامها الگاف أو الكاف إشارة إلى أن حركة العين فيها هي الضمة. ونريد أن ننتقل الآن إلى تلك الأفعال التي تكون العين فيها صوتًا مطبقًا دون أن تكون اللام فيها الراء أو اللام أو الگاف أو الكاف؛ والأفعال التي تكون اللام فيها

صوتًـا مطبقًـا دون أن يكون واحد من هذه الأصوات عينًا فيها. وفي هذه الفصيلة من الأفعـال تُسمـع الحركة قريبًا من الضمة في بعض الأمثلة أو حركة متوسطة بين الضمة والكسرة في بعض آخر، أو كسرة خالصة في مجموعة ثالثة.

فتكون حركة العين قريبة من الضمة في أفعال مثل:

(٣١)	ي ح ـَ ٠ ص ـُ م	يْحَصُم
	ي خ ـَ ٠ ب ـُ ط	يْخَبُط
	ي خ ـَ ٠ ص ـُ ف	يْخَصُف
	ي خ ـَ ٠ ص ـُ م	يْخَصُم
	ي خ ـَ ٠ ط ـُ ف	يْخَطُف
	ي ع ـَ ٠ ب ـُ ط	يْعَبُط
	ي ـَ ف ٠ ط ـُ م	يْفَطُم

وتكون متوسطة في أفعال مثل:

(٣٢)	ي ح ـَ ٠ ظ ـِ ن	يْحَضِن
	ي ع ـَ ٠ ص ـِ ب	يْعَصِب

وتكون حركة قريبة من الكسرة في أفعال مثل:

(٣٣)	ي ح ـَ ٠ ص ـِ د	يْحَصِد
	ي ح ـَ ٠ ط ـِ ب	يْحَطِب

وهناك احتمال أن تنطق الحركة في الأمثلة الأولى متوسطة وفي الأمثلة الثانية قريبة من الكسر، فليست نوعية الحركة مستقرة تمامًا.

أما الفصيلة الأخيرة من الأفعال فهي التي لا تكون العين أو اللام فيها راء أو لاماً أو كَافاً أو كافًا أو أحد الأصوات المطبقة. وفي هذه الأفعال وعددها حوالي مائة وعشرة أفعال نجد أن الحركة تُسمع إما كسرة خالصة أو هي قريبة من الكسرة. ومن الأمثلة على ذلك:

(٣٤)

ي ـَ ن ٠ س ـِ ب	يَنْسِب
ي ـَ ن ٠ ش ـِ ل	يَنْشِل
ي ـَ ل ٠ ب ـِ د	يَلْبِد
ي ع ـَ ٠ ز ـِ ب	يَعْزِب
ي ـَ ش ٠ ذ ـِ ب	يَشْذِب
ي ع ـَ ٠ ت ـِ ب	يَعْتِب
ي ـَ ف ٠ س ـِ د	يَفْسِد
ي ح ـَ ٠ ل ـِ ب	يَحْلِب
ي ح ـَ ٠ ل ـِ ف	يَحْلِف
ي ح ـَ ٠ س ـِ د	يَحْسِد

وإذا فحصنا هذه الأفعال وجدنا عينها أو لامها أو كليهما معًا من الأصوات الأسنانية أو الشفوية وبإمكاننا أن نعين تلك الأصوات في القائمة التالية :

(٣٥)

عين الفعل	لام الفعل
ن	ز
ب	س
ث	م
ل	ج
م	د
د	ث
ز	ف
س	ب
ت	
ذ	

وقد يرى القارىء أن في هذا دليلاً أيضًا على ارتباط نوع الحركة بنوع الصوت . فحركة العين أمامية في هذه الأفعال لمجاورتها أصواتًا أمامية . غير أنه يجدر التذكير بأننا

وجـدنا أن الحركة حتى في جوار الراء والأصوات الخلفية المطبقة والخاء والغين، والكَاف والكاف تسمع في أكثر الأحيان حركة متوسطة أو هي قريبة من الكسرة.

ولقد رأينا أن الدليل على نوع حركة العين دليل غير مباشر وذلك في تفخيم الراء واللام وعدم نطق الگاف والكاف نطقًا مغورًا.

إن تفسير هذه الظاهرة يكمن في عدم استقرار الضمة تاريخيا، وميلها إلى التحول إما إلى حركة متوسطة أو إلى الكسرة، وذلك نتيجة لتأثير الأصوات الساكنة المجاورة لها. ولهذا السبب جاءتنا كلمات كثيرة بالضمة تارة وبالكسرة تارة أخرى وأحيانًا بكليهما.(٣٠)

ولقـد حدت هذه الـظاهرة ببعض الباحثين المحدثين الذين درسوا بعض لهجات الجـزيرة العربية المعاصرة إلى القول بأن ليس في هذه اللهجات إلا حركتان قصيرتان هما الفتحة والكسرة. أما التنوعات التي نجدها لهاتين الحركتين فتعود إلى تلونهما تبعًا لما يجاورهما من أصـوات. ومن هذه الدراسات دراسة لين(٣١) عن لهجات الرياض وشقراء وعنيزة؛ وكـذلـك دراسة بيتر عبود لبعض اللهجات النجدية.(٣٢) غير أن الدراسة المتكاملة لهذه اللهجات لا تدع مجالاً للشك في وجود ثلاث حركات قصيرة أصلية هي الفتحة والكسرة والضمة في هذه اللهجات.

أما عدم التفريق بين الكسرة والضمة في كثير من الأحيان فيعود إلى قانون صوتي قديم في اللغة العربية يمكن أن يسمى بقانون تحييد الضمة: أي أن الضمة في مواضع كثيرة من اللغة تختلط بالكسرة بحيث لا يمكن التفريق بينهما صوتيًّا. وهذه الظاهرة هي ما كان يشار إليه في القديم بإشمام الضمة رائحة الكسرة أو إشمام الكسرة رائحة الضمة.(٣٣)

---

(٣٠) إبراهيم أنيس، *في اللهجات العربية*، ط٤ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م)، ص ص٩١-٩٦.

(٣١) William Lehn, "Vowel Contrasts in Najdi Arabic," in *Readings in Arabic Linguistics*, ed. Salman A-Ani (Bloomington, Indiana: Indiana Linguistics Club, 1978), pp.321-28.

(٣٢) Peter Abboud, "The Verb In Northern Najdi Arabic," *BSOAS,* 13, part 3 (1979), 467-99.

(٣٣) Mohammed H.Bakalla, *IBN JINNI: An Early Arab Phonetician: an Interpretive Study of His Life and Contribution to Linguistics* (London: European Language Publication, 1987).

ولا يقتصر هذا التغير على اللغة العربية الفصحى في القديم أو على لهجاتها القديمة والحديثة، فهو موجود في كثير من اللغات كما أسلفنا؛ بل هو موجود في اللغات السامية أخوات اللغة العربية،[٣٤] فهو في الآكادية[٣٥] والآمورية[٣٦] والأوجارتية[٣٧] وكذلك في الأثيوبية،[٣٨] وفي الآرامية أيضًا.[٣٩]

ولذلك فإنه يحتمل أن تكون حركة عين مضارع (فعَل) الأصلية هي الضمة ليس غير، وأن ما نجده من الكسرة في بعض الأفعال أو التردد بين الكسرة والضمة في أفعال أخرى ليس إلا أثرًا للقانون الصوتي الذي نجده في مثل اللهجة البدوية الحجازية.

وبالإضافة إلى هذا الدليل غير المباشر على نوع الحركة العالية في مضارع (فعَل)، هناك أدلة أخرى قد تؤيد هذا الاحتمال. ومن ذلك:

أ ـ أن حركة العين في مضارع وصيغة المغالبة هي الضمة دائمًا.

ب ـ أن عدد الأفعال التي تكون حركة عين مضارعها الضمة ولم تتحول إلى فتحة في جوار الأصوات الحلقية الساكنة، عندما يكون الصوت الحلقي عينًا أو لامًا للفعل، هي اثنان وعشرون فعلاً. بينما يبلغ عدد الأفعال التي لم تتحول الكسرة فيها إلى فتحة تسعة أفعال (هذا إذا استثنينا خمسة أفعال الصوت الأول فيها هو الواو، فهي فصيلة خاصة لها حكم خاص). فكثرة الأفعال التي تكون حركة عينها الضمة هنا مؤشر على الحركة الأصلية في مضارع هذه الصيغة.

---

(٣٤) ج. برجشستراسر، *التطور النحوي للغة العربية*، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبدالتواب (القاهرة والرياض: مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ص٥٤-٥٩.

(٣٥) Sabatino Moscati, ed. *Introduction to the Comparative Grammar of The Semitic Languages: Phonology and Morphology* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1969), p.49.

(٣٦) Moscati, *Introduction*, p.48.

(٣٧) Ibid., p.49,

(٣٨) J. Kurylowicz, *Studies in Semitic Grammar and Metrics* (London: Curzon Press, 1973), p.54. وانظر Delacy O'Leary, *Comparative Grammar of the Semitic Languages* (Amsterdam: Philo Press, 1969), p.232.

(٣٩) O'Leary, *Comparative Grammar,* p.118.

جـ ـ إن عدد الأفعال التي تتردد بين الضم والفتح إذا كانت العين أو اللام فيها صوتًا حلقيًّا أكثر من عدد الأفعال التي تتردد بين الكسر والفتح : فعدد الأولى واحد وعشرون فعلاً، بينما عدد الثانية ستة أفعال.

بقي أن نجيب على سؤال مهم هو لماذا نجد الكسرة أو الضمة أو التردد بينهما في مضارع بعض الأفعال في الفصحى؟ وبما أن الإجابة عن هذا السؤال من داخل النظام الصوتي للغة الفصحى مستحيلة الآن، فإنه ليس لدينا لتصور ما حدث إلا الاستئناس بالحقائق الصوتية الملموسة التي نجدها في اللهجات العربية المعاصرة وخاصة تلك التي بقيت إلى زمن قريب بعيدة عن أي تأثير خارجي.

والتفسير المحتمل الذي يبدو لي الآن هو أن الوضع في اللهجات القديمة كان مشابهًا للوضع الذي نجده في مثل اللهجة البدوية الحجازية. وعندما دونت اللغة نسب بعض الحركات العالية إلى الضمة وبعضها إلى الكسرة، حتى وإن لم تكن ضمة خالصة أو كسرة خالصة، وقد يكون السبب في ذلك أن النظام الكتابي للغة ليس فيه رمز كتابي لإبراز الحركات المتوسطة بين الضمة والكسرة.

وعلى الرغم من دراسة العلماء الأوائل لتفخيم الراء وتفخيم اللام وما كانوا يسمونه ظاهرتي الكسكسة والكشكشة، وهي الظواهر التي كان يمكن لهم بدراستها أن يتوصلوا إلى نظام الحركات العربية بدقة، إلا أن دراستهم لهذه المسائل لم تكن متكاملة ولا شاملة ولا دقيقة.

خاتمـــــة

رأينا أن هناك ثلاثة قوانين صوتية في اللهجة البدوية الحجازية يمكن استخدامها دليلاً على أن الكسرة والضمة حركتان مستقلتان، ومن ثم رأينا أن هذه القوانين نفسها يمكن استخدامها دليلاً غير مباشر على أن حركة عين مضارع (فعَل) هي الضمة أصلاً، وأن ما نسمعه كسرة أو حركة متوسطة ليس إلا نتيجة لقانون صوتي يحول الضمة إلى كسرة أو حركة متوسطة في جوار الأصوات الساكنة التي تنطق من مقدمة الفم.

ومع هذا فإنني لابد لي أن أؤكد أن هذا البحث أولي وفي حاجة إلى التوسع فيه من نواح، منها:

أ ـ دراسة صوتية معملية مفصلة لتأثير كل صوت ساكن على الحركات.

ب ـ مناقشة الأفعال المعتلة ومدى إمكان تطبيق ما توصلت إليه في هذا البحث عليها.

جـ ـ مقارنة هذه اللهجة بغيرها من اللهجات العربية المعاصرة في داخل الجزيرة العربية وخارجها.

ويبقى هذا البحث مجرد بداية، وهو لا يزيد عن كونه نظرية أولية قد تثبت بعد البحث التفصيلي المشار إليه آنفًا، أو تعدل، أو يثبت بطلانها.

The Choice between /u/ and /i/ in the Imperfect of the Underived Verbal Form [FA'ALA]

Hamza Qublan Al-Mozainy
Assistant Professor, Department of Arabic,
College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: One of the most controversial issues in the morphology of the verb in Arabic is ablaut, i.e. the alternations of the so-called stem-vowel in the perfect and its corresponding imperfect. One aspect of this issue has generated a good amount of discussion, that is the unpredictability of the stem-vowel in the imperfect when it corresponds to the low vowel /a/ in the perfect. This vowel is realized as [i], [u], or [a]. Its realization as [a] is not hard to explain: it occurs when the preceeding or the following consonant is one of the following sounds [ʔ,h,ḥ,ʕ,x, ɣ]; although there are some exceptions to this generalization.

The fluctuation between [i] and [u] is not so easily explained, however. Therefore, scholars of Arabic, both ancient and modern, have regarded this issue beyond explanation; that is, completely unpredictable.

In this paper, I claim that we could explain the choice between the two vowels if we look at this problem in the modern dialects. I try to show that in one dialect, i.e., Bedouin Hijazi Arabic, at least, there is evidence that the underlying vowel in this imperfect is /u/ and its realization as [i], [ɨ], or [a] is conditioned by the quality of the neighboring consonants. Three rules in this dialect, i.e. emphaticization of /r/, emphaticization of /l/, and palatalization of /k/ and /g/, show clearly there exist a contrast between /i/ and /u/ underlyingly. It has been shown also that in the imperfect /r/ and /l/ are emphaticized as [ṛ] and [l̪] respectively; and /k/ and /g/ are realized as [k̟] and [g̟]. This shows that in this imperfect the stem-vowel is /u/ which induces the emphaticization of /r/ and /l/ but prevents the palatalization of /k/ and /g/.

The findings of this paper, however, represent no more than a working hypothesis and more research and comparison with other modern Arabic dialects is needed in order to verify them.